ما هو موقف الكتاب المقدس من تنوع البشر؟

نعيش في عالم يتميز بتنوع أفراده. فهناك أجناس مختلفة من البشر، وقوميات متعددة، وشعوب كثيرة، وأديان ومذاهب لا تحصى. وحتى داخل الشعب الواحد هناك طبقات وفوارق متنوعة. هذا عدا الاختلاف في القدرات والمواهب بين فرد وآخر. ونتيجة لذلك لم يكن غريبا أن يظهر التعصب، وتنشأ النزاعات بين الأفراد والجماعات، لا بل أن تنشب الحروب بين الدول والشعوب.

قد يختلف كل واحد منا في مشاعره وموقفه تجاه الآخرين الذين يختلفون عنه، إن كان بالنسبة للون أو الجنس أو القومية أو الدين أو حتى الطبقة. لكن بشكل عام إن موقفنا تجاه الآخرين الذين يختلفون عنا يرتكز على المفهوم السائد في المجتمع الذي ننمو فيه، أو في العائلة التي ننشأ في ظلها. وعادة يعتقد الناس أن شعبهم هو الأفضل، وأن تقاليدهم هي المثلى وأن أفكارهم هي الصحيحة. وإذا تمادى الإنسان في هذا الموقف فإنه سرعان ما يتحول إلى تعصب أعمى وتحيز واضح. وفي أحيان كثيرة يؤدي التعصب إلى حقد أعمى للآخرين وكره لهم. وهكذا تبدأ النعرات العرقية والعنصرية والمذهبية بالظهور.

ما هو موقف الكتاب المقدس بالنسبة لهذا الموضوع الهام؟ وكيف ينظر الله للإنسان الذي خلقه؟ وهل ينظر للبشر جميعا بالتساوي بالرغم من فروقاتهم وجنسياتهم؟ وماذا يجب أن يكون موقفنا نحن المؤمنين؟ هذا ما سنحاول أن نجيب عنه في هذه الدراسة. ونستطيع القول واستنادا إلى كلمة الله الحية أنه توجد خمسة مبادئ عامة على الأقل، يجدر بنا أن نتأمل بها. وهذه المبادئ هي:

المبدأ الأول: كلنا خلقنا على صورة الله.

المبدأ الثاني: كل البشر من أصل واحد.

المبدأ الثالث: جميعنا خطاة وبحاجة إلى خلاص.

المبدأ الرابع: نعمة الله تشمل الجميع.

المبدأ الخامس: جميع المؤمنين في المسيح هم واحد.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

المبدأ الأول : كلنا خلقنا على صورة الله. عندما خلق الله الإنسان نجده يقول: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تكوين١:٢٦) ثم عادت كلمة الله فدونت لنا الآية المقدسة التالية: "خلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض." (تكوين١:٢٧و٢٨) لقد خلق الله الإنسان إذن على صورته وشبهه. أي على صورته وشبهه من ناحية القدرة على الإدراك والتفكير والتعبير والخلق والإبداع. على صورته من ناحية حرية الإرادة واتخاذ القرارات بنفسه. وعلى صورته من ناحية تمتعه بكل المزايا النبيلة والصفات الحميدة التي يتمتع بها الله خالقه. ولهذا نجد أن الإنسان يختلف بالكلية عن الحيوان. إذ له عقل مدبر واع، ويتميز بملكة النطق والقدرة على التفاهم مع الآخرين. إن كل البشر إذن مخلوقون على صورة الله وشبهه، لا فرق بين جنس وآخر، أو قومية وأخرى، أو مذهب وآخر. ألا يؤكد هذا المبدأ الكتابي على حقيقة جميلة ورائعة؟

المبدأ الثاني: كل البشر من أصل واحد. هل ندري أعزائي أنه بالرغم من تنوع البشر الكبير واختلاف جنسياتهم فإنهم جميعا ينحدرون من أصل واحد؟ فنحن جميعا إن كنا في الشرق أم في الغرب ، في الشمال أم في الجنوب . أو إن كنا من العرق الأبيض أم الأسود أم الأصفر أم الأحمر ، نحن جميعا أبناء آدم وحواء . وأنه منهما أتى الجنس البشري بأكمله . وهو ما أكده الرسول بولس فيما بعد عندما كان يعظ لأهل أثينا الوثنيين ، إذ خاطبهم موضحا لهم عن هذا الإله الخالق قائلا: "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض ... إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم." (أعمال الرسل ١٧: ٢٤ – ٢٦) من الواضح أن الرسول بولس يؤكد هنا أن أصل كل البشر هو واحد بالرغم من الفروقات بينهم. وأن الدم الواحد للبشر جميعا يؤكد هذه الحقيقة.

ولدينا تأكيد آخر لهذه الحقيقة الهامة من الكتاب المقدس . فلقد أرسل الله طوفانا في القديم بسبب ازدياد شر الإنسان ، وأهلك البشر جميعا . لكن الله أنقذ النبي نوح وعائلته عن طريق الفلك . ونقرأ في سفر التكوين بعد ذلك الآية المقدسة التالية : "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث ... هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح . ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض." (تكوين٩:١٨و١٩) ودوّن لنا سفر التكوين في الأصحاح العاشر أسماء قبائل وشعوب الأرض التي تفرعت من أولاد نوح الثلاثة. وبذلك تحدث لنا سفر التكوين عن كيفية نشؤ الشعوب والأمم ومن الأصل الواحد.

لا بل يخبرنا سفر التكوين أيضا كيف ظهرت اللغات البشرية، وذلك في حادثة بناء برج بابل التي تبلبلت فيها الألسنة. فيقول أن الأرض كلها كانت لسانا واحدا ولغة واحدة ويسكنون في بقعة واحدة. وقال الناس لبعضهم البعض هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض. لكن الله عندما رأى ذلك وعلم أن هدف الإنسان الحقيقي هو التكبر والاستعلاء عليه كخالق، قام وبلبل لسانهم حتى لا يفهم بعضهم لسان بعض. وهو ما حصل، وعندها تبدد الناس على وجه كل الأرض، وكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دعي اسم المدينة بابل، أي المكان الذي بلبل فيه الله لسان البشر. وهكذا ظهرت اللغات واللهجات البشرية بمختلف أنواعها. (راجع تكوين١١:١-٩)

إذن إن أصل البشر جميعا واحد بالرغم من قومياتهم العديدة وأجناسهم المتنوعة، ولغاتهم ولهجاتهم الكثيرة التي لا تحصى. فلماذا يتعصب الناس؟ ولم كل هذه النعرات والحزازات بين الشعوب والأمم؟ أولا تؤكد لنا هذه المظاهر السلبية على وجود خلل كبير في الحياة البشرية؟ وكيف بنا نعالج هذا الوضع؟ وما هو الحل الصحيح أو المخرج من هذا المأزق؟ وهل قدم لنا الله حلولا عملية لهذه المشكلة التي واجهها ويواجهها الإنسان منذ فجر التاريخ حتى يومنا الحالي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه عندما نتناول بقية المبادئ الخمسة الهامة، إذ نتحدث بالتفصيل عن المفهوم الإلهي الصحيح لحل هذه المعضلة.

<u>المبدأ الثالث: جميعنا خطاة وبحاجة إلى خلاص.</u> بما أننا كلنا ننحدر من أصل واحد، فإننا كلنا نشترك في حمل نفس الطبيعة البشرية الواحدة. لقد خلق الله أبوينا الأولين آدم وحواء وأعطاهما الحرية لكي يختارا بين الخير والشر. لكن مع الأسف اختارا طريق العصيان. وهكذا دخلت الخطية حياتهما، لا بل أصبحت هي المسيطرة على طبيعتهما. وبما أننا جميعا من نسلهما فلقد ورثنا عنهما طبيعة الفساد هذه. ولهذا كتب الرسول بولس يقول: "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم. وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع." (الرسالة إلى رومية٥:١٢) وفي مكان آخر اقتبس من العهد القديم فكتب أيضا يقول: "الجميع زاغو وفسدوا معا ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد." (الرسالة إلى رومية ٣:١٢).

إن هذا يؤكد أننا جميعا كبشر خطاة، ونحمل طبيعة الفساد نفسها، لا فرق بين عرق أو جنس وآخر، أو شعب وآخر، أو حتى بين مذهب وآخر. فإذا كنا كلنا خطاة ونحمل نفس الطبيعة وبحاجة إلى خلاص الله، فلماذا نتعصب لجنسنا أو قوميتنا أو مذهبنا؟ ولماذا نكره الآخرين الذين يختلفون عنا؟ أولا تشير هذه الحقيقة الهامة إلى ضرورة اعترافنا بأن كل البشر متساوين، ولا يوجد فرق بينهم؟ أولا تؤكد إلى ضرورة تواضعنا وإقرارنا بحقيقة نفوسنا الخاطئة ؟ وأن نتجنب بالتالي الاستكبار والتعالي على الآخرين الذين يختلفون عنا؟ فهل هذا ممكن يا ترى؟ أم ترانا نتغاضى عن كل هذه الحقائق ونصر أننا أفضل من الآخرين؟

صحيح أننا كلنا كبشر خطاة وقد ورثنا طبيعة الخطية من أبوينا الأولين آدم وحواء، لكن الله الخالق لم يتركنا هكذا وشأننا. وهنا نأتي إلى

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

المبدأ الرابع: أن نعمة الله تشمل الجميع. عندما دعا الله قديما إبراهيم وكان اسمه أبرام قال له الله أنه سيباركه. ثم وعده قائلا: "وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض." (تكوين ١٢:٣) وعندما أصبح أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب له وقال له: "أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم." (تكوين١٧:٤و٥) وبعدما أطاع إبراهيم الله وأراد تقديم ابنه إسحق ذبيحة، ظهر له ملاك الرب وقال له: "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي." (تكوين ٢٢:١٨) فماذا تعني وعود الله هذه كلها لإبراهيم ؟ إنها بلا شك تشير أن البركة – أي نعمة الله – ورحمته ستشمل جميع أجناس وأمم وشعوب الأرض. حتى أن الله دعا إبرام اسما جديدا وهو إبراهيم لكي يصبح أبا لجمهور من الأمم.

لكن السؤال: كيف شملت بركة الله أو نعمته كل الشعوب؟ لقد تم ذلك عندما أتى المخلص يسوع المسيح لعالمنا، وأعلن خلاص الله. ولهذا مات المسيح على الصليب ليكفر عن خطية البشر جميعا، ثم أقامه الله من بين الأموات غالبا منتصرا، لكي يهب الحياة الجديدة لكل من يؤمن. وعندما أنجز المخلص المسيح عمل الفداء وقام من بين الأموات، أمر تلاميذه أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بهذه البشارة المفرحة للخليقة كلها. وبتعبير آخر أصبحت بركة الله أو نعمته تشمل جميع البشر من دون استثناء. أليس هذا أمرا مجيدا ؟ ولقد أكد لنا الرسول بولس فيما بعد هذه الحقيقة أن بركة الله أعلنت بواسطة بالمخلص يسوع المسيح. فكتب يقول: "وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح." (الرسالة إلى غلاطية ٣:١٦) أي أن وعد الله لإبراهيم بالبركة كان في نسله، أي في المسيح الذي ستتبارك بواسطته جميع أمم الأرض.

ثم أوضح لنا الرسول بولس أيضا قصد الله من وعده لإبراهيم أنه سيصبح أبا لجمهور من الأمم. إذ كتب يقول: "والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن." (الرسالة إلى غلاطية ٣:٨-٩) أجل لقد أصبح إبراهيم أبا لجمهور من الأمم، أي أبا لكل الذين سيؤمنون بخلاص المسيح من أي جنس أو أمة أو شعب كانوا. وأصبح بالتالي المؤمنون بالمسيح أبناء لإبراهيم أو من نسله. وهنا نأتي إلى المبدأ الخامس والأخير من در استنا هذه. وهو :

المبدأ الخامس: أن جميع المؤمنين في المسيح هم واحد. تتجلى عظمة المسيحية ليس لأن بركة الله أو نعمته في المخلص يسوع المسيح شملت كل الشعوب فحسب، بل لأن كل المؤمنين في المسيح يصبحون واحدا، لا فرق بين جنس وآخر أو شعب وآخر، أو حتى طبقة وأخرى. ولهذا كتب الرسول بولس أيضا يقول: "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع... ليس يهودي

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع." (الرسالة إلى غلاطية ٣:٢٦و٢٨) فهل هناك أعظم من هذه الحقيقة؟ أن يتكون مجتمع بشري جديد، تزول منه الفوارق، وينتفي فيه التعصب، إذ يكون واحدا في المسيح. وهذا المجتمع الجديد هو كنيسة المسيح الحقيقية. ألا ترغب قارئي أن تصبح أحد أفراد هذا المجتمع الجديد؟ أولا ترغب أن تتحرر من أي تعصب أو حقد ضد الآخرين الذين يختلفون عنك؟ لم لا تقبل بالإيمان إلى المسيح المخلص فتنال بركة الله ونعمته. وعندئذ تصبح من أولاد الله وعضوا في كنيسة المسيح الحقيقية.

لكن ما هو موقف الرب يسوع المسيح تجاه هذا الموضوع الهام؟ أي تجاه الفروقات الهامة التي تقسم المجتمع البشري في كل مكان وزمان؟ لدينا عدة شواهد من سيرة المخلص المسيح وأقواله ستساعدنا ولا شك في تحديد موقفه. لقد ولد المخلص يسوع المسيح تحقيقا لوعود الله منذ القديم بإعلان خلاصه للبشر جميعا. لكن المسيح ولد وتربى في بيئة يهودية كانت تنتظر مجيئه، لا بل كانت تتوقع أن يأتي المسيح ليخلصها كأمة فقط دون سائر الشعوب. وعلى ضوء هذه الحقيقة علينا أن نتأمل بموقف المسيح وأقواله تجاه الشعوب الأخرى.

يخبرنا البشير متى عن قائد روماني أتى إلى المسيح طالبا منه شفاء غلامه. فقال له المسيح أنه سيأتي ويشفيه.لكن قائد المئة الروماني أجابه قائلا: " يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فيبرأ غلامي." وعندها تعجب المسيح وقال للذين حوله: "الحق أقول لكم لم أجد في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا. وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المئة اذهب وكما آمنت ليكن لك. فبرأ غلامه في تلك الساعة." (بشارة متى ٨ : ٨، ١٠- ١٣) لقد أكد المخلص المسيح في تعليقه هذا على موقف قائد المئة، أن خلاصه سيشمل شعوب الأرض قاطبة. وأن كل شخص يؤمن مهما كانت قوميته أو جنسيته سيدخل إلى ملكوت السموات. وفي المقابل أن بني الملكوت – أي اليهود – والذين ظنوا أن المسيح قد أتى لخلاصهم فقط، سيطرحون إلى الظلمة الخارجية – أي سيهلكون – إن لم يؤمنوا. إنه موقف جريء أعلنه المخلص المسيح بكل وضوح. وهذا ما أثار خصومه من اليهود فسعوا للقضاء عليه. إنه الموقف الذي يؤكد أنه لا يوجد فرق عند الله بين جنس وآخر وشعب وآخر، وأن خلاصه سيشمل الجميع. وهو الموقف الذي أعلنه المسيح مرارا وتكرارا خلال حياته على الأرض.

حادثة أخرى حصلت أكد فيها المسيح موقفه بأن الخلاص سيشمل الجميع. فلقد رفضت قرية سامرية مرة استقباله، لأن هدفه كان التوجه نحو أورشليم. فقال له تلميذاه يعقوب ويوحنا: "يا رب أتريد أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضا. فالتفت

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص." (بشارة لوقا٩:٥٤-٥٦) كان السامريون شعبا خليطا من اليهود والوثنيين، وكانت لهم عبادتهم الخاصة، وكانوا مكروهين جدا لدى اليهود. وهنا يأتي المسيح ليؤكد لتلاميذه الذين أرادوا الانتقام منهم لرفضهم استقباله، أن هدفه هو خلاص البشر. وهذا الخلاص مقدم أيضا للسامريين كغيرهم من الناس، بالرغم من كونهم أعداء لليهود. وعندما التقى المسيح المرأة السامرية كشف لها عن هويته أنه المسيح المخلص. وأكد لها أن العبادة الحقيقية تكون بالروح والحق، ولم تعد مرتبطة بمكان معين حتى ولا في أورشليم المدينة المقدسة. وآمن به نتيجة لذلك كثيرون من السامريين، لا بل سألوا المسيح أن يمكث عندهم، فمكث هناك يومين. (راجع بشارة يوحنا ٤)

وفي مناسبة أخرى أعلن المسيح أن له خرافا أخرى ليست من هذه الحظيرة. أي أن له أولادا آخرين ليسوا من اليهود ينبغي أن يأتي بهم أيضا، ويكونوا رعية واحدة وراع واحد. (راجع بشارة يوحنا ١٠:١٦) وهؤلاء الأولاد بالطبع سيأتي بهم من كل الشعوب والأمم والألسنة. ولهذا لم يكن غريبا أن يصرح المسيح بهذه الآية الذهبية المشهورة : "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية." (بشارة يوحنا ٣:١٦) نعم، لقد أحب الله العالم كله، أي جنسنا البشري بكل أجناسه وقومياته وشعوبه. وأرسل الله المسيح الابن الوحيد، كلمته الأزلي، لكي يفدي ويهب الحياة الجديدة لكل من يؤمن بموت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظافرة من بين الأموات. وفي حواره مرة مع اليهود أكد لهم المسيح أنه ليس مهما أن يكونوا من ذرية إبراهيم أو نسله، بل المهم أن يتحرروا من عبودية الخطية عن طريق إيمانهم بالمسيح المخلص. وأنهم إذا كانوا فعلا أولاد إبراهيم عليهم أن يعملوا أعمال إبراهيم. (راجع بشارة يوحنا ٨) وبتعبير آخر أن كون الإنسان من قومية معينة لا يؤدي لخلاصه.

أليس هذا هو الإشكال الذي وقع ويقع فيه الكثيرون حتى في أيامنا هذه؟ إذ يعتبر البعض أن كونهم ولدوا في طائفة مسيحية، واعتمدوا وهم أطفال، فهذا يجعلهم مسيحيين ومن أولاد الله بشكل طبيعي. أي تماما كما فكر اليهود من معاصري المسيح. بينما المطلوب هو الإيمان الحقيقي بشخص المخلص المسيح. أجل، لقد أعلن المسيح خلاص الله للبشر جميعا، لا فرق بين إنسان وآخر. لكن المطلوب من كل إنسان هو أن يتوب عن ذنوبه، ويؤمن شخصيا بخلاص الله المقدم له عن طريق الفادي المسيح، لكي يشمله خلاص الله ويصبح بالتالي من أولاده. إن الدعوة إذن موجهة للجميع ولك شخصيا قارئي العزيز. فأنت بالرغم من خلفيتك أو مذهبك مدعو لكي تتجاوب مع نداء الخلاص الموجه لك. فهل تراك تلبي النداء وتأتي؟ وعندها تحصل على خلاص الله وتصبح من أولاده ومن شعبه.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لكن هل أعلن الرب يسوع المسيح موقفا معينا علينا أن نتَّخذه تجاه الناس الذين يختلفون عنا؟ قالت الوصية في العهد القديم: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك **وقريبك مثل نفسك.**" وعندما أتى رجل ناموسي ليجرب المسيح، ولكي يبرر نفسه طرح عليه السؤال: **من هو قريبي؟** فأجابه الرب يسوع المسيح بمثل السامري الصالح، الذي أوضح فيه الموقف الذي يجب أن يتبناه كل إنسان تجاه الناس الذين يختلفون عنه. (راجع بشارة لوقا، الأصحاح العاشر، من العدد ٢٥ إلى نهاية العدد ٣٧). فقد أعلن المسيح من خلال هذا المثل أن القريب بالنسبة لنا هو كل إنسان من أي جنس أو قومية كان، حتى لو كان عدوا شخصيا لنا، ودعانا لكي نمارس عمل الرحمة والمحبة معه. فما هو موقفنا تجاه الناس الآخرين الذين يختلفون عنا في اللون والجنس والقومية والدين؟ هل نعتبرهم كما أوصانا المسيح من القريبين لنا؟ وهل نحبهم كنفوسنا كما نصَّت شريعة العهد القديم؟

لعل السؤال الآن هو: **كيف تمَّ تطبيق هذه المبادئ الكتابية والمفاهيم الجديدة في العصر المسيحي الأول؟** بعد أن أتم المسيح عمل التكفير عن الخطية وقام من بين الأموات، وقبل صعوده إلى السماء إجتمع مع تلاميذه وأوصاهم قائلا: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن." (بشارة مرقس١٦:١٥و١٦) لقد تمم الله وعوده بالخلاص لجميع البشر بكل أجناسهم وفئاتهم عن طريق المخلص المسيح، وما على التلاميذ والمؤمنين بالمسيح إلا أن يذهبوا ويكرزوا بهذه البشارة المفرحة إلى كل سكان الأرض، لأن الجميع مدعوون لكي يقبلوا هذا الخلاص. فمهما كان لون بشرة الإنسان أو جنسه أو قوميته أو حتى مذهبه، إنه مدعو لقبول هذا الخلاص المجيد. إن خلاص الله يشمل إذن جميع البشر، وهنا تتجلى عظمة المسيحية بالغاءها الفوارق بين البشر، وجعلهم واحدا في المسيح.

أجل، لقد حصل بالضبط كما أمر المسيح تلاميذه. فبعد أن تعمدَّ التلاميذ بالروح القدس بدأت الكرازة بالإنجيل في أورشليم حيث آمن الآلاف بالمخلص المسيح. ثم انتقلت البشارة إلى المناطق المجاورة، وكانت مقتصرة على اليهود فقط. ونتيجة للاضطهاد الذي حصل في أورشليم تشتت المؤمنون. وأتى فيلبس إلى مدينة من السامرة وأخذ يكرز بالمسيح وأجرى معجزات عديدة. عندها آمن كثيرون من السامريين بالمسيح.

أما بالنسبة للأمم أو كل الشعوب الأخرى فقد كان الأمر مختلفا. إذ لم يكن سهلا على التلاميذ وكلهم من أصل يهودي أن ينقلوا البشارة إلى الأمم. لذلك كان لابد لله أن يتعامل بشكل خاص مع الرسول بطرس، ويعلن له عن طريق الرؤيا المليئة بالرموز، أن ما طهره الله لا تنجسه أنت. ثم طلب منه أن يقوم ويذهب مع ثلاثة رجال أتوا يسألون عنه. وكان الله قد أرسل ملاكه

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

إلى كرنيليوس وهو قائد مئة روماني تقي وخائف الله، وطلب منه أن يستدعي من يافا رجلا اسمه بطرس، وهو الذي سيخبره ماذا يفعل، فعمل كرنيليوس كما أمره الله. وعندما وصل بطرس إلى قيصرية رأى كرنيليوس وجمعا غفيرا بانتظاره. فشرح لهم كيف أن الله أراه أن لا يقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس. وقال: "**بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده.**" ثم أخذ يشرح لهم بالتفصيل كيف أرسل الله المخلص يسوع المسيح، الذي جال يصنع خيرا ويقوم بالمعجزات. وكيف صلب وفي اليوم الثالث قام، ثم ظهر حيا لتلاميذه وأنه أوصاهم أن يكرزوا به، لأن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا. وبينما كان الرسول بطرس يتكلم بهذه الأمور، حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندهش المؤمنون من اليهود الذين جاءوا مع بطرس لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا. وأمر الرسول بطرس حينئذ أن يعتمدوا بالماء. (راجع سفر أعمال الرسل، الأصحاح العاشر).

ومن يومها فتُح الباب على مصراعيه لكي تنتقل بشارة الخلاص المفرحة إلى كل الشعوب والأمم. ودعا الله شاول الطرسوسي الذي أصبح الرسول بولس، لكي يكون رسولاً للأمم. فقام بالانتقال من مدينة إلى أخرى مبشرا بالمخلص المسيح، بعد أن كان مضطهدا للكنيسة. وبالرغم من الإضطهادات الكثيرة والمصاعب العديدة التي مر بها، استطاع مع مرافقيه أن يبشروا فيما يعرف اليوم بتركيا واليونان وأن يصل إلى روما. وتأسست كنائس عديدة في معظم بلدان العالم القديم. وكانت هذه الكنائس تضم أجناساً متنوعة وشعوباً عديدة. وكان فيها الفقير والغني والعبد والحر والرجال والنساء. وكان الجميع واحدا في المسيح. لا بل زال الفارق الأساسي الذي كان موجوداً بين المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم إذ صاروا جميعا شعبا واحدا، هو شعب الله. وهكذا تكوَّن لأول مرة في التاريخ البشري مجتمع واحد جديد بالرغم من الفروقات الكبيرة بين البشر. وأصبحت المحبة الأخوية هي الأساس الذي ينطلق منه الجميع في علاقتهم بين بعضهم البعض.

حقا، في المسيحية الحقيقية تزول كل الحواجز والفوارق بين البشر. ألا تود قارئي العزيز أن تصبح من أحد أفراد شعب الله الجديد وتصبح عضوا في جسده؟ لم لا تأتي بالتوبة والإيمان بالمخلص المسيح، فهو الذي مات وقام لكي يهبك الحياة الحقة، ويجعلك من أولاد الله.

إزاء كل هذه الحقائق كيف يجب أن يكون موقف المسيحي الحقيقي تجاه الآخرين الذين يختلفون عنه؟ كنا قد لاحظنا أن أحد المبادئ الكتابية الخمسة حول موضوع الفروقات بين البشر يؤكد على أن جميع المؤمنين في المسيح هم واحد. وهو ما أكده الرسول بولس عندما كتب يقول: "لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع." (الرسالة إلى غلاطية٣:٢٦و٢٨) وبتعبير آخر لقد جعلت المسيحية البشر في وحدة متآلفة بالرغم من فروقاتهم العرقية والقومية والطبقية والجنسية والمذهبية. ومن هنا تقع المسؤولية على المؤمن الحقيقي في المسيح أن يحب أخاه المؤمن كمحبته لنفسه، ومهما كانت الحواجز كبيرة بينهما. وهو ما شدد عليه الرب يسوع المسيح نفسه، وثم تلاميذه ورسله فيما بعد. ولهذا قال الرب يسوع لتلاميذه: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم." (بشارة يوحنا١٥:١٢) وقال أيضا: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضا لبعض."(بشارة يوحنا١٣:٣٥)

وكتب الرسول يوحنا يقول: "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة." (رسالة يوحنا الأولى٣:١٤) وكتب أيضا: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله. من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة." (رسالة يوحنا الأولى٤:٧و٨) إن محبة الآخرين في كنيسة المسيح ومهما اختلفوا عنا، هي ركن أساسي من أركان المسيحية، وهي مستمَدة من الله نفسه الذي هو محبة. ومن المعروف أن الكنيسة هي جسد المسيح، وعلى جميع أعضاء الجسد أن تعمل معا من أجل نموه، والمحافظة على وحدته وتآلفه، بالرغم من الفروقات البشرية الواضحة.

لكن ماذا عن علاقة المؤمن بغير المؤمنين؟ أي كيف يجب أن يكون موقف المؤمن المسيحي الحقيقي بالنسبة إلى الناس من حوله؟ بالطبع إن مبدأ المحبة ينطبق عليهم أيضا. فإذا كانت شريعة العهد القديم تقتضي محبة القريب، فكم بالحري مبادئ العهد الجديد السامية؟ لقد لخص لنا الرب يسوع المسيح مبادئ العهد الجديد في الموعظة على الجبل. وذلك عندما قال: "سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات... لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم. أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك." (بشارة متى ٥:٤٣-٤٦)

أما الرسول بولس فقد كتب يقول: "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير." (الرسالة إلى رومية١٢:١٩-٢١) حقا إنها مبادئ سامية جداً لا يستطيع تطبيقها في حياته إلا الذي اختبر محبة الله وصار من أولاده. لأن روح الله القدوس يسكن في داخله، وتصبح لديه بالتالي طبيعة الله المُحِبَّة. إذ ليس من طبيعة الإنسان أن يقابل العداء بالمحبة، والبغضة بالإحسان، والإساءة بالرحمة.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

إذا كان مطلوب من المؤمن محبة أعدائه والذين يسيئون إليه، فمن البديهي أن يُطلب منه محبة الناس الآخرين، ومهما اختلفوا عنه. فما هي نظرتك أخي المؤمن تجاه الأجناس والشعوب الأخرى؟ وما هو موقفك تجاه أتباع المذاهب أو الديانات الأخرى؟ وما هي نظرتك تجاه الذين يختلفون عنك في الوضع الطبقي؟ هل تحترمهم وتحبهم وتحاول إزالة الحواجز بينك وبينهم؟ وهل تسعى بالتالي لمساعدتهم قدر الإمكان؟ أم على العكس من ذلك تحاول الابتعاد عنهم، وتنظر لهم نظرة دونية، وتتجنب تقديم أية مساعدة لهم؟ هذا هو المحك العملي الصحيح لمعرفة حقيقة موقفنا تجاه الناس الذين يختلفون عنا. وعلينا هنا أن لا نتذرَّع بذرائع واهية. كالقول مثلا إن المسؤولية تقع على الآخرين. إذ علينا نحن أن نقوم بمد الجسور معهم، وأن نظهر مدى عطفنا عليهم واحترامنا ومحبتنا لهم. وهذا لابد أن يتجلى في مواقفنا وسلوكنا تجاههم. أو ليست هذه مسؤوليتنا أن نربحهم للمسيح؟

يوجد خطر كبير قد نقع فيه جميعا ألا وهو خطر المحاباة. أي أن نحابي بين إنسان وآخر وجنس وآخر، فنحابي الناس الذين تربطنا بهم روابط قومية أو مذهبية أو طبقية. ولقد تحدث لنا الرسول يعقوب عن هذه المشكلة بالذات، فكتب إلى المؤمنين بالمسيح يقول: "يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة. فإنه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في لباس بهي ودخل أيضا فقير بلباس وسخ. فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له اجلس أنت هنا حسنا وقلتم للفقير قف أنت هناك أو أجلس هنا تحت موطئ قدمي. فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة." ثم أضاف الرسول يعقوب قائلا: "فإن كنتم تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب. تحب قريبك كنفسك. فحسنا تفعلون. ولكن إن كنتم تحابون تفعلون خطية موبخين من الناموس كمتعدين." (رسالة يعقوب٢: ١-٤، ٨ و٩) إذن إن المحاباة خطية، وأن نحابي بين إنسان وآخر هو عمل خاطئ. بينما المطلوب منا كمؤمنين أن نعامل الآخرين دون محاباة، حتى لو اختلفوا عنا كثيرا.

هذا هو موقف الكتاب المقدس، وهذا هو الموقف المسيحي الصحيح تجاه مشكلة الاختلاف بين البشر. فليساعدنا الرب جميعا لكي يغدو هذا هو موقفنا نحن كمؤمنين ونطبق المحبة عمليا في حياتنا.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service